البنيـة الدالـة للنـص المـسرحي

(دراسة نقدية مقارنة لقضايا المرأة في أعمال جورن أجمون وفتحية العسّال)*

مروة أحمد وهدان

تدور هذه الدراسة في إطار علم الأدب المقارن، وموضوعها الكتابة النسائية، وهو موضوع إشكالي يثير أسئلة نقدية عديدة تتوزع بين مشروعية المصطلح ومفهومه من ناحية، ومقابله الإبداعي الملموس من ناحية أخرى. فقد صاحب صدور مصطلح (أدب المرأة) أو (الكتابة النسائية) جدل حول مضمون هذه التسمية التي تتضمن إشكالية تصنيف الأدب على أساس الاختلاف الجنسي. والثابت أن مصطلح (الكتابة النسائية) فرض نفسه على الساحة الثقافية بفعل تزايد اكتساح المرأة لمجال الكتابة، وما استوجبه من متابعة نقدية كثيفة.[1]

ويعد أدب المرأة أحد المحاور الأساسية المرتبطة بخطاب الحداثة الثقافي الذي يفرض نفسه في عالم متغير لا تستطيع الذات الفردية أو الجمعية أن تنفي وجوده، فقد فرضت الحداثة نفسها على أدوات المنتج الإبداعي، وبالتالي فرضت نفسها على المعالجة النقدية الساعية لاكتشاف العلاقة الجدلية بين الرؤية الفكرية أو موقف الذات من العالم وبين طرائق التعبير الفنية، فلم تعد المناهج التقليدية التي تبحث عن المحاور الموضوعية من ناحية أو السمات الفنية من ناحية أخرى قادرة على القيام بمهامها وهي تمزق العمل الفني بين ثنائية الشكل والمضمون، أو تستبعد الذات المبدعة خارج الإطار.

يناقش هذا البحث موضوع الكتابة النسائية وقضايا المرأة تحديداً في النصوص المسرحية للكاتبة الإسرائيلية جورن أجمون (גורן אגמון)، والكاتبة المصرية فتحية العسال. وقد وقع الاختيار على الكاتبة الإسرائيلية (גורן אבמון جورن أجمون) التي اهتمت في السنوات الأخيرة بما يتعلق بالحياة الاجتماعية الأسرية وبالمرأة على وجه الخصوص، وقامت بكتابة العديد من المسرحيات التي حازت إعجاب النقاد وحازت كذلك على جوائز مسرحية. كما أن الكاتبة فتحية العسال قامت بكتابة العديد من المسرحيات التي تتناول عدة قضايا تتعلق بالمجتمع وبالمرأة تحديداً، ولهذا فقد وقع الاختيار عليها نظراً لإسهامها في الكتابة المسرحية التي تتناول قضايا المرأة بشكل أو بآخر.

واعتمد البحث على ست مسرحيات، ثلاث مسرحيات للكاتبة جورن أجمون: (מכתב לנועה خطاب إلى نوعا)، و(מבזק חדשות عناوين الأخبار)، و(עלמה ורות علما وروت)، وثلاث مسرحيات للكاتبة فتحية العسّال: (نساء بلا أقنعة)، و(سجن النساء)، و(الخرساء).

(*) نوقشت هذه الرسالة المقدمة من الباحثة مروة أحمد زهدان لنيل درجة الدكتوراه، بكلية الألسن جامعة عين شمس بإشراف أ.د. عبد الوهاب وهب الله، أستاذ الأدب العبري المساعد بجامعة القاهرة، وقد حصلت الباحثة على الدكتوراه بتقدير "مرتبة الشرف الأولى".

[1] عبد العالي بو طيب، الكتابة النسائية: الذات والجسد، مجلة فصول، عدد ٧٥، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٩، ص ٢٤.

هدف البحث:

يهدف هذا البحث إلى التعرف على طبيعة المعالجة الفنية لقضايا المرأة في المجتمعين الإسرائيلي والمصري، وذلك من خلال أعمال الأديبتين، كما يهدف إلى التعرف على رؤية المرأة للعالم الخارجي باعتبار أن الأديبتين لا تمثلان رؤية فردية بل رؤية جمعية تشكلت من خلال المجتمع والثقافة. ويهدف كذلك إلى رصد الرؤية النسائية التي تتحرك في الإبداع لنقد الوعي الكائن وصولا إلى الوعي الممكن، من خلال شكل أدبي بعينه هو الأدب المسرحي.

كما يهدف البحث إلى التعرف على نقاط التشابه والاختلاف بين تناول الأديبتين لقضايا المرأة في أعمالهما، ومدى التأثر بالمجتمع والخلفية الثقافية.

منهج البحث:

اعتمد هذا البحث على المنهج المقارن، الذي يتبع المدرسة الأمريكية التي لا تشترط وجود صلات تاريخية بين العملين الأدبيين المراد مقارنتهما بل تعتمد على اكتشاف نقاط الاتفاق والاختلاف بينهما في ضوء المنظومة الثقافية لكل منهما.

كما اعتمد هذا البحث أيضًا على المنهج البنيوي التوليدي للوسيان جولدمان، الذي يتيح لنا دراسة النص الأدبي من خلال وجهتين :الأولى، داخلية تراعى العلاقات والأنظمة والعلامات في النص الأدبي، والثانية، خارجية تدرس علاقة هذه البنية كلها بالأطر الاجتماعية والنفسية التي تولد عنها النص الأدبي.

وسبب اختيار هذا المنهج يرجع إلي أنه منهج يعتمد على علاقة انسجام نصية بين سياقي المعنى والمبنى في النص، مختلفاً بذلك عن المناهج الشكلية بكافة اتجاهاتها التي تقدس الشكل مقابل التنكر للتأويل وقراءة المضامين والرؤى، ومختلفاً أيضاً عن مناهج المضامين في النقد المعاصر، وذلك عندما أهملت منهجيات المضامين أية تقنيات شكلية أو جمالية ، قاصرة النص الأدبي على أطر تاريخية واجتماعية وتفسيرية، ومن هنا ظهرت ضرورة الاهتمام بالبنيات الثقافية والاجتماعية والتاريخية للنص الأدبي، من أجل إقامة نوع من التوازن بين (المنهج الشكلي)، و(المنهج الاجتماعي).

أقسام البحث:

لقد قسمت هذه الدراسة إلى مقدمة يتم من خلالها التعرف على ماهية البحث، وتمهيد وثلاثة فصول وأهم النتائج التي توصل إليها البحث، إضافة إلى قائمة بالمصادر والمراجع.

وقد تناولت في التمهيد تعريف مصطلح "الأدب النسائي"، كما تناولت ظهور المرأة في الكتابة النسائية المسرحية العبرية والعربية، وكذلك سيرة موجزة لكل من الأديبتين جورن أجمون وفتحية العسال للتعرف على الخلفية الثقافية لكل منهما لما لها من تأثير كبير على الإنتاج الأدبي لكل منهما.

ينقسم الفصل الأول- وعنوانه: (البنية الموضوعية)- إلى قسمين، القسم الأول: المرأة موضوعًا في السياق الثقافي، وتناول وضع المرأة في المجتمعين الإسرائيلي والعربي للتعرف على الخلفية الاجتماعية والثقافية في كلا المجتمعين.

أما القسم الثاني: المرأة موضوعًا مسرحيًا، فتناول أهم قضايا المرأة التي تناولتها كل من جورن أجمون وفتحية العسال في النصوص المسرحية محل الدراسة، وأشكال قهر المرأة في المسرحيات مثل: الضرب والختان والاغتصاب والتحرش.

ينقسم الفصل الثاني- وعنوانه- (البنية الدرامية)- إلى أربعة أقسام، تناول القسم الأول الشخصيات ووظائفها الدرامية، وناقش الشخصيات النسوية في النصوص المسرحية وكذلك الشخصيات الذكورية من منظور نسوي.

تناول القسم الثاني التقنيات المسرحية المستخدمة عند كل من جورن أجمون وفتحية العسال ومدى تأثر كل منهما بتقنيات التغريب البريشتي.

ثم خصصت القسم الثالث لدراسة الزمن في المسرحيات والتقنيات التي استخدمها كل أديب منهما لتحديد الزمن في النصوص المسرحية، مثل تقنيات الاسترجاع والاستدعاء والتداخل والاستباق.

وتناول القسم الرابع دراسة المكان في النصوص المسرحية للأديبتين، والذي تبين من خلاله اعتماد الأديبتين على المكان المغلق كمكان رئيس في النصوص المسرحية.

وانقسم الفصل الثالث والأخير- وعنوانه- (البنية الأسلوبية) إلى خمسة أقسام، تناول القسم الأول العناوين المسرحية ودلالة أسماء الأعلام، وتناول القسم الثاني الحوار ولغة الشخصيات، وناقش القسم الثالث التناص في النصوص المسرحية للكاتبتين على سبيل المثال التناص الديني والأدبي والشعبي، واهتم القسم الرابع بالعناصر غير الكلامية، بينما جاء القسم الخامس والاخير ليتناول ملامح السرد النسوي في مسرحيات جورن أجمون وفتحية العسال.

وقد قدمت في ختام هذا البحث أهم النتائج التي توصلت إليها وحرصت على إظهار مواطن الاتفاق والاختلاف في تناول كل من الأديبتين لقضايا المرأة في النصوص المسرحية.